

# ابن الأبار الكاتب

كانت الكتابة - كتابة الرسائل الديوانية والاخوانية - مهنة ابن الأبار، فقد قام بهذه المهنة لعدد من الولاة بالاندلس وإفريقيا، وهو قد أمضى معظم حياته كتباً منشئاً وكتباً مؤلفاً، ينشئ الرسائل إنشاءً بأسلوبه الخاص أحياناً، ويجمع ويصنف ما كتبه غيره ويؤلف بينه ليخرج منه كتاباً أو رسالة تاريخية أو أدبية أحياناً أخرى. وكان ابن الأبار إلى مزاولته مهنة الكتابة يـمـانى هواية الشعر. وفي شعره، السمين والغث. وسنفرد لشعره باباً خاصاً نعرض فيه نماذج له، وندرس بعضه وننقده ونقدده.

أما كتابة ابن الأبار فيمكن تقسيمها إلى ضربين: كتابة تأليف الكتب، وكتابة الرسائل. وقد عرضنا المضروب الأول

منهما عندما عرضنا كتبه ومؤلفاته. أما الضرب الثاني من الكتابة  
الانشائية فيمكن تقديمه وتقديره بعد عرض نماذج له. ومن سوء  
الحظ أن أم يجمع لنا ابن الأبار، أو لم يخلف وراءه، مجموعة  
من رسائله الديوانية والخاصة، تلك التي كتبها في الأندلس  
وأفريقيا. ولكننا بالرغم من هذا نجد بعضها منشورا منشورا في  
كتب الأدب والتاريخ، ومنها تلك الرسالة الشهيرة التي بعث  
بها إلى القاضي (1) أبي المطرف ابن عميرة المخزومي قاضي  
شاطبة، ردا على رسالة هذا القاضي التي يذكر فيها أخذ الروم

---

(1) هو أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي . ولد في  
رمضان سنة 582 (نومبر سنة 1186) - في جزيرة شقر - وقيل في بلنسية  
سنة 580 ( 1184 م ) ونشأ في بلنسية واشتهر بمعرفة علوم التاريخ ثم صار  
قاضي شاطبة . وبعد أن سقطت بلنسية على يد Jaime el Batallador  
هاجر إلى مراكش ، وصار كاتباً لعبد الواحد الرشيد بن أبي الوليد إدريس  
المأمون ، السلطان الموحدى . ثم عين قاضياً لمدينة مليانة وبعدها لمدينة  
مكناس . ولم ترقه الحياة في مراكش فذهب إلى تونس ودخل في خدمة  
السلطان المستنصر الحفصى . ومات بتونس سنة 648 ، وقيل سنة 656 أو  
سنة 658 . وهو من معاصري ابن الأبار . وكان - إلى وظيفة القضاء -  
كاتباً أدبياً يقرض الشعر ، انظر : الروض المطار تحت اسم « شقر » والاحاطة  
صفحة 60 - 65 من الجزء الأول .

مدينة بلنسية، رها هي ذى :

سیدی وان وجم لها (1) النادی ، وجمجم بها المنادی .  
ذلك اصفرها عن كبره في المعارف الاعلام ، وصدرها بوغر  
صدور الصحائف والافلام . وأعيد (2) ربحانة قريش أن تروح  
من حفيظتها في جيش . قد هابتها مغاوير كل حي ، واجابتها  
الغطاريف (2) من قصي . أداف بين يديها كتيبة خالد ، وتحاف  
لا قدحت نار الهيجاء برند صالد . أو تنهف من غامطها ،  
وتقذف به وسط غطاءطها ، لا جرم أنسى من جريمتي حذر ،  
وعما وضعت به قيمتي للمجد معتذر ، الا ان يصوح من الروض  
نبتة وجناته ، ويصرح بالقبول حلمه ، وأناته الحديث عن القديم  
شجون ، والشأن بتقاضى الغريم شتون . فلا غرو أن أطارحه  
اياها ، وأفاتحه الامل في لقياء . ومن لى بمقالة مستقلة أو اخالة  
غير مخلة ، أثبت البلاغة الامادها ، ومع ذلك فسأنبى عما دهي .  
درجت المدات والاتراب ، وخرجت الروم بنا الى حيث

---

(1) الضمير هنا يعود على السيادة.

(2) الغطاريف جمع غطريف وهو السيد.

الاعراب ، أيام دفعنا لأعظم الاخطار ، وفجئنا بالاطوار  
والاطوار . فالام ندارى برح الالم ، وحتام نساوى النجم فى  
الظلم . جمع اوصاب ما له من انفضاض ، ومضض اغتراب شد  
عن ابن مضاض . فلو سمع الاول بهذا الحادث ما ضرب المثل  
بالحادث ، يا لله من جلاء ليس به يدان ، وتناء قلما يسفر عن  
تدان . وعد الجدد العاتر لقاءه فأنجز ، ورام الجدد الصابر انقضاءه  
فأعجز . هؤلاء الاخوان مكثهم لا يمتع به أوان ، وبينهم كسبت  
الارض أوان ، بين هائم بالسرى ، ونائم فى الثرى . من كل  
صنديد بطل ، أو منطق غير ذى خطأ ولا (1) خطا قامت عليه  
النوادر لما قدمت به الذوائب ، وهجمت بيوتها لغناء الجماجم  
والذوائب ، واما الاوطان المحبب عهدا بحكم الشباب ، المشيب  
فيها بمحاسن الاحباب ، فقد ودعنا مهادها وداع الابد ، واخنى  
عليها الذى اخنى على نبيد ، أسلمها الاسلام وانتظمها الانتشار  
والاصطلام ، حين وقعت أنسرها الطائرة ، وطامت أنحسها  
الفاثرة ، فغلب على الجذل الحزن ، وذهب مع المسكن السكن .

---

(1) الخطل فساد الرأى .

كزعزع الريح صك الدوح عاصفها فلم يدع من جنى فيها ولا غصن  
واها وواها يموت الصبر بينهما موت المعامد بين البخل والجبن

أين بلاسة ومغانيها ، وأغاريد ورقها وأغانيها ؟ أين حل  
رصافتها وجسر ها ، ومنزلا عطائها ونصرها ؟ أين أقبأؤها تندى  
غضارة ، وركاؤها تبدو من خضارة ؟ أين جنداؤها الطفاحة  
وخمائها ، أين جنائبها النفاحة وشمائها ؟ شدا عطل من  
قلائد أزهارها نحرها ، وخامت شمشانية ضحاها بحيرتها وبحرها .  
فأية حيلة لا حيلة في صرفها مع صرف الزمان ، وهل كانت حتى  
بانت الا رونق الحق وبشاشة الايمان ؟ ثم لم يلبث داء عقرها  
ان دب الى جزيرة شقرها ، فأمر عذبها الذمير ، وذوى غصنها  
النفير ، وخرست حمائم أدواحها ، وركدت نواسم أرواحها ،  
ومع ذلك اقتحمت دانية ، فنترحت قطوفها وهى دانية ،  
وبالشاطبة وبطحائها ، من حيف الايام وانحائها والهفاه ثم لهفاه ،  
على تدمير وتلاعها ، وجيان وقلاعها ، وقرطبة ونواديها ، وحمص  
ونواديها . كلها رعى كلؤها ، ووهن بالتفريق والتفريق ملؤها .  
عض الحصار أكثرها ، وطمس الكفر عينها وأثرها . وتلك

البيرة (1) بصدد البوار ، ذرية في مثل حلقه السوار . ولا مربية  
في المرية وخفضها على الجوار ، الى بنيات لواحق بالامهات ،  
ونواطق بها لاول ناطق بهات . ما هذا النقع بالمعمور ؟ أهو  
النقع في العمور ؟ أم النفر عاريا من الحج المبرور ؟ وما لاندلس  
أصيبت بأشرافها ، ونقصت من أطرافها ؟ قوض عن صوامعها  
الأذان ، وصنعت بالنواقيس فيها الأذان . أجننت . ما أم تبجن  
الاصقاع ؟ أعقت الحق فعاق بها الابقاع ؟ ~~كلا~~ بل دانت  
السنة ، وكانت بن البدع في أحسن جنة . هذه المروانية مع  
اشتداد أركانها ، وامتداد ساطانها ، ألت حب آل النبوة في  
حبات القلوب ، وألوت ما ظفرت من خلعة ولا قلعة بمطلوب ،  
الى المراقبة بأقصى الثغور والمحافظة على معالي الامور ، والركون  
الى الهضبة المنيرة ، والروضة المربعة ، من معاداة الشيعة ،  
وموالاة الشريعة . فليت شعري بم استوثق تمحيصها ، ولم تعلق  
بعموم الباوى تخصيصها ؟ اللهم غفرا طالما ضد ضجـر ، ومن

---

(1) مدينة بشرقى الاندلس.

الانباء ما فيه مزدجر . جرى بما لم تقدره المقدور ، فما عسى  
 ان ينفت به المصدور ؟ وربنا الحكيم العليم ، فحسبنا التفويض له  
 والتسليم . وبا عجباً لبني الاصفر ، انسيت مرج الصفير ؟  
 ورميها يوم اليرموك بكل أغلب غضنفر ؟ دع ذا فالعهد بيه  
 بعيد ، ومن اتعظ بغيره فهو سعيد . هلا تذكرت العامرية  
 وغزواتها ، وهابت العامرية وهبوانها ؟ أما الجزيرة بخيالها محدة ،  
 وبأحاديث فتحها مصدقة . هذا الوقت المرتقب ، والزمان الذي  
 زجيت له الشهور والحقب . وهذه الامامة أيدها الله تعالى  
 هي المنقذة من أسرها ، والمنفذة لسلطانها مراسم نصرها ، فيتاح  
 الاخذ بالثار ، وينزاح عن الجنة أهل النار ، ويعلم الكافر لمن  
 عقبى الدار . حاورت سيدى بمشار الفاجىء الفاجع ، وحاولت براء  
 الجوى من جوابه بالمسلاج الناجع . وبودى لو تقع فى الارجماء  
 مصداقية فترفع من الازراء معاقبة . أليس لديه أسواء المكليوم ،  
 وتدارك المظلوم ؟ وبيديه أزمة المنشور والمنظوم . خيال يختر فى  
 اقناع أباد ، وصوغ ما لم يخطر على قلب زيد ولا بخاطر زياد .  
 بست الجبال الطوامح لما بست ، وأبو فتحها ، وغيضت البحار

الطوافح فمن يعبأ بالركايا ومنحها؟ اين ابو الفضل بن  
العميد من العماد الفاضل، وصمصامة عمرو من قلمه الفاضل. هذا  
مدرها الذي فعل الافاعيل، وأحمدها الذي سما على ابراهيم  
وهما اماما الصناعة، وهما البراعة واليراعة، بهما فخر من  
نطق بالضاد، وبسببهما حسدت الحروف الصاد، لكن دفعهم  
بالبراح، وأعزى مدرعهم من المراح، وشرف دونهم ضعيف  
القصب على صم الرماح. ابقاء الله تعالى وبيانه صادق الانواء،  
وزمانه كاذب الاسواء، ولا زال مكانه مجاوزاً ذؤابة الجوزاء،  
واحسانه مكافأ بأحسن الجزاء<sup>(1)</sup>، والسلام.

وقد يكون من المناسب هنا ان نذكر الرسالة التي بعث  
بها القاضي ابو المطرف ابن عميرة، الى ابن الابار، والتي رد  
عليها ابن الابار بالرسالة السابقة، جاء في نصح الطيب صفحة  
596 من الجزء الثاني ما يأتي:

رسالة خاطب بها الكاتب البارع القاضي ابو المطرف ابن  
عميرة المخرومي الشيخ الحافظ ابا عبد الله بن الابار بذكره

---

(1) واضح ما في هذه الرسالة من الصناعة اللفظية والمحسنات المتكلفة. =

## أخذ المدو مدينة بلنسية وهي :

ألا فيئة للدهر تدنو بمن نأى      وبقياء يرى منها خلاف الذى رأى  
ويا من عذيرى منه يغدر من أوى      اليه ولا يدرى سوى خلف من وأى (1)  
ذخائر ما فى البر والبحر صيده      فلا أولوا بقى عليه ولا وأى  
ابها الاخ الذى دهش ناظرى لكتابه ، بعد ان أدعش  
خاطرى من اغبايه . وسرنى من بشره ايماض ، بعد ان ساءنى  
من جهته اعراض جرت على ذكره الصلة بقوم قدح نبعثها ،  
وروى اكناف قلمتها ، واحدث ذكراً من عهدنا الماضى فنقط  
وجه عروسه ، وششم خمر كؤوسه . وسقى بماء الشبابة ثراه ،

---

== ولقد كان اسلوب ابن الابار كغيره من كتاب الاندلس والمغرب صدى  
لاسلوب الكتاب فى المشرق ، او محاكاة له . فلقد كان القاضى الفاضل  
( توفى سنة 596 هـ ) على رأس الكتاب الذين عنوا بالسجع والجناس  
والكناية ، وكان من كتاب الرسائل الذين اشتهروا بهذه الطريقة فى  
زخرفة الكلام . والمبالغة فى زركشته حتى صارت طريقته تعرف « بالطريقة  
الفاضلية » تحداها وحاكها من جاء بعده من المنشئين . من ذلك ما ورد  
فى كتاب « الفتح القدسى » لعماد الدين الاصفهاني ، الذى ارخ فيه فتح  
صلاح الدين بيوت المقدس : « ثم رحل من عسقلان للقدس طالبا ، وبالعزم  
غالبا ، وللنصر مصاحبا ، ولذيل العز ساحبا . قد اصحب ريش مناه ، واخصب  
روض غناه ، واصبح رائج الرجا . . . . . الخ »

(1) وأى ، يئى : وعد يمد . وضمير منه عائد على الدهر .

وأبرز مثال مرآة الغريبة مرآه . فبورك فيه أحوذا (1) وصل  
رحمه ، وكسا منظره من البهجة ما كان حرمه . وحيا الله تعالى  
منه ولما على سالف عهدي تمادي ، وبشمار ودي نادى . وبين  
والاحسان شيمته ، وأبان والبيان لاتنجاب عنه ديمته . ولا  
تغلو بغير قامه قيمته . واعتذر عن كلمة تمنى تبديلها ، ودهوة  
ذكر وجوم النادى لها . ثم أرسلها ترجف بوادرها من خيفة  
وتوغر زعم صدور قلم وصحيفة . وتندر من ربحانة قریش ان  
تمنعه عرفها ، وتصدق اليه طرفها . واتقى غارة على غرة ، من  
الناجى برأس طمرة . ولم يأمن هجران المهاجر بعد وصله ،  
وعكر عكرمة المغطى بحامه على ابى جهله . وعند ذكر كتيبة  
خالد أحجم ، وذكر يوم الحاط به فارس فاستلجم ، فاعتذر  
عما قال ، واضمر الحذر الا ان يقال . فمهلا ايها الموفى على  
علمه ، النافث بسحر قامه . اتظن منزلتك فى البلاغة ومهيها لاحب ،  
ومنزعه بالمقول لالعاب ، أسفل وقد ترفعت ، او تخفى وان  
تلفعت . عرفناك ياسودة ، وشهرت حلة عطارذ الملاحه والجودة .

---

(1) الاحوذى : الشهم النبيل

فلم حين تهيب الأخ الاوحد من قصى غطارفها ، واو استشار من  
 حفاظها تالدها وطارفها . ام يذكر يدقومه عند ابيها ، وقدرام  
 خطة اشرف على تأبيها ، حين اهاب بكم ليهمة ، ودعا منكم  
 أخاه لاه . واو لا ذلك لما خلا له وجه الكعبة ، ولا خلص من  
 تلك المضايق الصعبة . وبأن اعرتموه نجدهتكم الموصوفة ، غلب  
 على ما كان بأيدي صوفة . فكيف نججد اليد عند عمنا ، او  
 نشخذ أسنة الاسنة لدمنا . او كيف نلقاكم بجدنا ، وابوكم بكر  
 معدنا ، وماتيا منكم الى سبأ بن يشجب ، وان اطلنا فيه التعجب  
 بالذي يقطع ارحامنا ويمنع اشتباكنا والتحامنا ، بعد ان شددنا  
 فعاثنا بفم الكرم ، ورأينا اقدامنا في نعالكم . واو شتتم توعدتم  
 بأسود سؤددكم عند الاقدام ، والحاح الحافكم في ضرب  
 الهام ، لكن نقول : ان قومنا الكرام ، واو شاءوا كانت لنا  
 فيكم شره وعرام ، وأعود من حيث بدأ الأخ الذي أبته شوقي  
 وانظم حلاوة عشرته باقية في حاسة ذوقي . طارحنى حديث  
 مورد جف ، وقطين خف ، فيا لله الأتراب درجوا ، وأصحاب  
 عن الاوطان خرجوا ، قصت الاجنحة وقيل طيروا .

وانما هو القتل او الاسر او تسيروا . وتفرقوا ايدي سبا  
وانتشروا ملء الوهاد والربا . ففى كل جانب عويل وزفرة ،  
وبكل صدر غليل وحسرة . ولكل عين عبرة لا ترقأ من اجلها  
عبرة . داء خامر بلادنا حين اتاها ، وما زال بها حتى سجدى  
على موتاهها . وشجا ايومها الاطول كهلا وفتاهها . وانذر بها  
فى القوم بحران أنيجه ، يوم أثاروا أسدها المهيجة . فكانت  
تلك الحطمة طل الشؤبوب ، وباكورة البلاء المصوب . اثكلتنا  
اخوانا ابكانا نعيمهم ، ولله احوذيتهم وألميتهم . ذلك ابو ربيعنا ،  
وشيخ جميعنا ، سعد بشهادة يومه ولم ير ما يسوءه فى أهله  
وقومه . وبعد ذلك اخذ من الام بالخنق وهى بالنسبة ذات  
الحسن والبهجة والرونق . وما لبث ان أخرس من مسجدها  
لسان الأذن ، واخرج من جسدها روح الايمان . برح  
الحفاء ، وقيل على آثار من ذهب الغفاء . وانمطت النواثب  
مفردة ومركبة كما تعطف الغاء ، فأودت الخفة والحصافة ، وذهب  
الجسر والرحافة . ومنزقت الحلة والشمة واوحشت الجرف  
والرحلة . ونزلت بالحارة وقمة الحرة ، وحصلت الكنيسة من

جآذرها وظبائها على طول الحسرة . فابن تلك الخمائيل ونضرتها  
والجداول وخضرتها، والاندية وأرجها، والاودية ومنعرجها .  
والنواسم وهوب مبتلها والأصائل وشحوب معتلها، دار ضحكك  
الشمس ببحرها وبحيرتها، وأزهار ترى من ادمع الطل في اعينها  
ترددها وحيرتها . ثم زحفت كتيبة الكفر بتورقها وشقرها ،  
حتى احاطت بجزيرة شقرها . فأها لمسقط الرأس هوى نجمه  
ونقادح الخطب سرى كلمه ، وبالجنة أجرى الله تعالى النهر  
نعتها، وروضة اجاد ابو اسحاق نعتها . وانما كانت داره التي  
فيها دب ، وعلى اوصاف محاسنها أكب . وفيها اتته منيته كما  
شاء واحب . ولم تعدم بعده محبين قشيبهم اليها ساقوه ، ودمعهم  
عليها أراقوه . وقد اثبت من النظم ما يليق لهذا الموضع ، وان  
لم يكن له ذلك الموضع .

أقلوا ملامى ، أو فقلوا واكثروا ملومكم عما به ليس يقصر  
وكان الامير أبو عبد الله (1) المستنصر . سلطان تونس .  
قد أدخل على الحضرة اصلاحات معمارية ، واقام بها متنزهات

(1) تولى ثالث رجب سنة 647 بعد وفاة والده ابي زكريا

ومصيداً<sup>(1)</sup> على بسيط من الارض تمش فيه أسراب الوحش  
عيشة طبيعية ولا تراعى ، وبني قهورا ضخمة وصروحاً مرتفعة  
الجدران ، واتخذ بخارج حضرة البستان المعروف « بأبى فهر »  
يشتمل على جنات معروشات وغير معروشات ، وجلب المياه  
الى هذه الجنات والى تونس فى قناة قديمة<sup>(2)</sup> كانت ما بين  
عيون زغوان وقرطاجنة ، تسلك بطن الارض فى أماكن ، وتركب  
البناء انما الى ذا الهياكل الهائلة والقسي القائمة على الارجل الضخمة  
فى أخرى ، فمطف هذه القناة الى هذا البستان ، وأما ما حائطا  
وصل ما بينهما<sup>(3)</sup> ، وبذلك احضر المياه الى بركة عظيمة فى  
« أبى فهر » ، ومنها كانت تسير المياه الى المسجد الكبير .  
وبهذا سهل على المصلين الحصول على الماء ، وعدوا عمل الامير

---

(1) فى سنة 650 هـ .

(2) هى قناة كانت تستعمل لجلب المياه الى تونس من خارجها فى عهد  
الرومان وتسمى Aqueduct ، وكان قد بطل استعمالها . ولا تزال آثار هذه  
القناة قائمة حتى الان خارج المدينة وممتدة اليها (انظر صفحة 282 العجز  
الثالث ، تاريخ ابن خلدون)

(3) وقد سجل ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجنى هذا العمل  
فى قصيدة طويلة (راجع صفحة 204 ج 2 من ازهار الرياض) .

عملا عظيما مبرورا .

وقد سجل ابن الأبار وصول الماء الى تونس في هذه القناة ،  
في رسالة ادبية خالدة . نوردها هنا نقلا عن كتاب ازهار  
الرياض في اخبار عياض (1) . قال مخاطبا السلطان المستنصر :  
الحمد لله حمدا لا نقيله هذا الزمان الذي كنا نؤمله  
« بلدة طيبة ورب غفور » ، ودولة مباركة احاسنها سفور .  
الى آل ابي حفص آو ، فهل جالت النجوم حيث جالوا ،  
او نالت الملوك بعض ما نالوا ؟ ملك يشمل الاقبال ، وعز يقلقل  
الجبال ، وكرم صريح الانتماء في النماء . وشرف سمت ذوائبه  
على السماء ، الى عدل واحسان ، هما قوام نوع الانسان .  
مع رفق واسجاح ، ضامنا كل فوز ونجاح . فقد اضاءت الظلماء  
أنوارا ، وفاضت البركات انجادا وأنوارا . أليس العام ربيعا ،  
والعالم جميعا ، والسعود طالمة ، والعصور طائفة ؟ مصانع الاعمال  
تحليها ، وعلى معصمات الكمال تجليها .

فمن ذا - أيها المولى - يجاريك الى مدى ، أو يباريك

---

(1) صفحة 211 من الجزء الثالث .

فى اقدام صادق وندى ، وآياتك للابصار هدى ، وحياتك  
المكفار ردى ؟ بسيرتك عدل الدهر وما جار ، ولولا نور عزمك  
ما أنار . لقد حسنت بك الاوقات حتى كأنك فى فم الزمان  
ابتسام . اعرفت فى المجد والعليا ، وعنيت بالدين فعنت لك  
الدنيا . اى عنيد او عميد ما القى باليد ، واتقى فى اليوم  
عاقبة الغد ، اصفافا (1) على التعوض بصفحك واسمادك ،  
واشفا قامن التعرض اصفاحك وصمادك ؟ تعمرب بالحسنات آناك ، وتتبع  
فى القربات آباءك . بانيا كما (2) بنوا ، بل زائدا على ما اتوا ،  
وباديا من حيث انتهوا .

أناس من التوحيد صيغت نفوسهم فزهرهم تر التوحيد شخصا مرعبا  
ومن ساكبات المزن فيض أكفهم فردهم ترد ماء الغمام واعذبا  
انجاد اجواد ، فى الحباء بحار ، وفى الحبا اطواد . تقيل ابو زكريا

---

(1) اعتمادا .

(2) يشير الى ما بناه أبوه ابو زكريا فى الجنوب الغربى من تونس وهو  
جامع السلطان الذى يشير اليه ابن بطوطة ، وبنى القصة وبجوارها مسجد  
لصلاة الخاصة . وكون مكتبة جميلة ، وأسس المدارس .

نهج ابي محمد ، وأيدا جميعاً بابي حفص المؤيد .

نسب كان عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً  
اوائك صفوة الائمة ، وحفظة الازمة ، والثاقمون دون الامة ،  
في الحوادث المدلهمة . وهذه الدولة المحمدية ، الخالدة بمكانها  
الدعوة المهدية . اليها انتهى الراشد ، وعليها التفت المحامد ،  
وبها اعتزت العناصر والمحامد . ومن خصائصها انفعال الرجود ،  
ومن مراسمها الايثار بالموجود ، والبدار الى اغائة الملهوف  
واعانة المنجود ، ما برح للخبرات ايضاعها<sup>(1)</sup> وخبها ، وبالصالحات  
غرامها وحبها ، حتى لقد فهمت اسرارها ، واودعت انوارها ،  
وكلفت او كفلت انشاءها واظهارها ، يميناً ان يمين الحق بها  
طولى ، والاخرة خير لها من الاولى .

بمولانا - ايده الله - عز مكانها ، وخلدت سديدة آثارها ،  
شديدة اركانها . لاجرم انه الطاهر كالماء الذي جلبه للطهارة ،  
والظاهر ولاء . ولواء في مصمد الخلافة ، ومقعد الامارة . بالسعادة  
الابدية وجدّه وكفّه . وما همه الا تجاوز ما اسلفه سلفه .

---

(1) الايضاع والخب نوعان من السير اولهما بطى والثانى سريع .

فجر من الارض ينبوعا ، وجدد الجدوى رسوما عافية  
وربوعا. ساحته الحرم ، وهو زمزم قصاده وحجاجه . وراحته  
البحر الخضم غير طعمه وارتماججه (1) . ما اظهره خلاالا ، وابهره  
جلالا ( هكذا هكذا والا فلا لا (2) ) . غابت كرامة الممارك  
وشهد ، ونامت ولاية الممالك وسهد . فمتى قسطوا أقسط ،  
واذا غوروا انبط . ولذلك ما ابطل عماء اعمالهم واحبط . غلبهم  
على صفتى الندى والعباس . وسلبهم منقبتى حمزة والعباس (3) .  
فلا غرو أن من أمن ووقى ، ثم لما كسا وأطعم سمى ، آية  
نعمى وفت بالميعاد ، وحسنى مثلها يعود للمعاد . واثت بماء  
معين قد اصبح غورا ، وملاّت ما بين لابتيتها حناانا ترف ظلا  
وترق نورا . فيما بشرى لتونس اخصب جديبها ، وأحسن  
وصف الروض والغدير اديبها . وطالما اطلعت صحراء بل بغضاء .

---

(1) احتياط من ابن البار ليستثنى من خصائص البحر ما ليس  
مرغوبا فيه من الطعام والارتجاج .

(2) يقتبس من البيت :

ذى المعالى فليعلون من تعالى هكذا هكذا والا فلا لا .

(3) عما النبى صلى الله عليه وسلم وكانا مشهورين بالسماحة والكرم .

فكم الامارة قبلها من يد بيضاء . غشيت حبر الحبور والسرور ،  
وعوضت برد الظل من وهج الحرور ، خمائل وجداول ، تراول  
منها العين ما تراول . تلك يضل من احصاها ، وهذه يصل بها  
حصاها . ويا لقصرها السعيد ، نعمت ادواحه ، وهبت على  
خضر الفصون وزرق الغدران ارواحه . هذا وان بات السماح  
المفاض يسقيه ، والجود الفضفاض ينقع فؤاده ويشفيه وهنيئا  
للمسجد (1) الجامع ان رويت جوانحه الصادية ، وجمعت في  
شرعته السارية والغادية . فهاهو حجره بادي الفور والاضاح ،  
وصخره ينبجس بالزلال القراح . وللمجهور بصفوه المنساب ،  
لهج الغياب بالاياب ، وطرب الشيب لذكر الشباب . أمسوا  
قد سوغوا ماربهم ، وأضحوا قد عام كل أناس مشربهم . فهم  
يردون على العذب النмир ، ويجدون بركة رأى الامير .  
مكرمة ذخرها لسلطان الزمان ، وكرامة هناها به الايمان ،  
وقضية ان حجت عن داود (2) فما حجب عنها سليمان .

(1) يقصد المسجد الجامع بمدينة تونس وقد ادخلت اليه المياه للمتوضئين .

(2) يقصد بداود هنا والد السلطان ، وسليمان السلطان نفسه ، وهي =

جمعت الناس بين الري والشعب  
 ولم تدع كرمها الا أتيت به  
 لما ولت خلعت الخير أجمعه  
 لله أيامك استوفت محاسنها  
 دامت مساعيك والاقدار تسعدها  
 تولى المساجد (1) انصافاً من البيم  
 اللهم ان الالة الحفصية قد اعليت مظاهرها، ونصرت معاشرها،  
 وقصرت على المصالح الدينية والدينية مواردنا ومصادرها .  
 ثم اصطفيت من شرف بيتها الصراح ، ومعدن سوددها الوضاح ،  
 مولانا الامير الاجل ، المؤيد المبارك ، أبا عبد الله ، فانتضيته  
 حساما في يدك قائمه ، وارفضيته اماما لاتبين في ذالك صرائمه ،  
 ولا يلحق شأوه في النيل من عدالتك رائمه . يمضى بأسا حين  
 لامضاء للحسام المضرب ، ويهمى جودا والسماء في أزر من نجيع  
 الجذب ، وينتدب سميا لكل حسنى أعيت على القريم النذب .

= تورية مأخوذة من قوله تعالى : « ففهمناها سليمان »

(1) اشارة الى تسجيع الصلاة واقتصاره على المسيحيين فى صقلية  
 وسواحل افريقية .

فاقصده اللهم لسلطانه بتأييد التأيد ، وأدم بأيامه المباركة  
 نعمة التمهيد ، وضاعف عزة جانبه بأعزازة كلمة التوحيد .  
 واجزه اللهم افضل الجزاء ، عن افاضة النعماء ، وإزالة الظلماء ،  
 وكافئه عن نفع الغل والاضماء ، بما فجر من ينابيع الماء ، وكما  
 شرفت فعله في الافعال ، واسمه في الاسماء ، فاجعله في الدنيا داعيا  
 الى سبيلك ، وفي الاخرى هاديا الى حوض رسوالتك . صلى الله  
 عليه وسلم ، الذي آتيته بعدد نجوم السماء .

آمين آمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .  
 وله يخاطب رئيس منورة سعيد بن حكم القرشي :

|                |                     |
|----------------|---------------------|
| ان سعيد بن حكم | صنو الملا نجل الكرم |
| رأسه بمثلها    | يفاخر السيف القلم   |
| وسودد مجموعة   | فيه معاسن الشيم     |
| معتمد من شأنه  | رعى النهود والذمم   |
| فانحنى ممهداً  | الى جوابه القلم     |
| عادة ندب أروع  | خص بیره وعلم        |
| فشكره في كل حا | ل ومآل ملتزم        |



أوفيه بعض واجبه ، وأشافهه بما أجنح اليه ، وانطوى عليه ،  
من اعتماد جانبه ، واحماد مقاده في الرياسة ومذاهبه . وقد حملت  
قلانا - عصمه الله ويسر مرامه ، وادام حفظه واكرامه - من  
جمل الاعظام ما يؤديه مفسرا ، وافهمته انى كاتبت معتقدا  
خالصا ومضمرا . وان تفضل سيدى الاعلى - حرسه الله -  
بتكليف بعض اغراضه الكريمة شفع يده البيضاء بمثلها ،  
واستتراد معلومة ام ينزل من اهلها . وما يصدر عن الجنب الرياسى  
- اسماء الله - من الالتفات اليه ، والاعتماد عليه ، فانه معدود  
من بوه الجسيم ، ويد من اياديه التى أعيت على التعديد  
والنقسيم . والله بعلو محله ، ويسعد عقده وحله ، ويسوغه من  
مورد الاسعاد فى حالتى الاصدار والايراد ، أعلاه وأجله ،  
ويصل حراسته ، ويؤيد رياسته ، بمنه وكرمه .

والسلام الكريم ، المبارك العميم ، يخص به مقامه الاظهر ،  
ملتزم اكباره واجلاله ، المعتد بتمامه فى السيادة وكماله ، محمد بن  
عبد الله بن ابي بكر بن الابار ، ورحمة الله تعالى وبركاته .  
وكتب اليه ايضا شافعا ومعتنيا :

تعتمد رياستكم المؤملة ، وسيادتكم المؤثلة ، تحية الشاكر  
لا عنائتها ، المباهى بسناها الوضاح وسنائها ، المستديم الاحرار ،  
الملتقى اليها اثباح <sup>(1)</sup> البحار ، شرف عنائتها وكرم غنائها ،  
محمد بن الابار ، ولا مزيد على ما عنده من اعظام يؤدي وظائفه ،  
واعتماد يشفع <sup>(2)</sup> بتالده طارفه ، وثناء يعاطيه اولياء جلالكم  
ومعارفه . والله يصمد مكانكم ، ويسعد زمانكم ، بامنه وكرمه .  
وتتأدى الى رياستكم - حفظها الله - في جانب أبى فلان  
- أعزه الله وبلغه أبعد أمه وأقصاه - . وهو من علمتم مكان  
بيته النبیه من حیه ، وسبب نزوحه عن وطنه المحبب ونأيه ،  
واستحقاقه بالمزايا المملومة ، والسجايا الكريمة ، لاجزال حفظه  
ورعيه . وما زال لكمالكم واصفا ، وعلى تمظيم جانبكم والافصاح  
بواجبكم عاكفا ، أمضاء لما أكد بينكم وبينه سالف الايام ،  
وتمييزا بحفظ الود الذى لا يحفظه غير الكرام .  
ومن مطالبى له حملة من التكرمة والتقدمة على النهج

---

(1) متون البحار وامواجه المرتفعة .

(2) يشفع هنا معناها يتبع اى يتبع طارفه تالده الذى سبقه .

الاقوم ، وانزأه جلالكم ، هذا وهنالكم ، منزلة المحب المكرم ،  
وتوصية المخصوص بالسفارة فى اشغالكم المباركة ، بأن يستصعبه  
عند الاياب ، ويورده محفوظ الجنباب على ذللكم الجنباب ،  
واختصاصه مع ذلكم بمخاطبة كريمة ، ترفعه مكانا عليا ، ويكون  
لما يرد عليه ، ويخلص بعشيئة الله اليه ، عنوانا جليا ، ومجدكم  
- حرسه الله - يفتخر جناية الاذلال ، ويبلغ نهاية الآمال . والله  
يبقى رياستكم تجبر الكسير ، ونيسر المرام المسير . وهو  
سبحانه يؤيد مقامكم ، ويكافى انعامكم ، بمنه .

والسلام الكريم ، المبارك العميم ، يعتمد محاسنكم الرياسى ،  
بدءاً وعوداً ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

تهنئته ابا المطرف <sup>(1)</sup> بن عميرة بقضاء شاطبة :

---

(1) قال ابن البار فى تحفة القادم فى حق ابي المطرف .  
فائدة هذه المائة . والواحد يفى بالفئة ، الذى اعترف باثماره الجميع  
واتصف بالابداع فما ذا يتصف به البديع ( يريد بديع الزمان ) . ومعاذ الله  
ان احابه بالتقديم ، لما له من حق التعليم . كيف وسبقه الاشهر . ونطقه  
الياقوت والجوهر . تحلت به انصائف والمهاريق ، وما تخلت عنه المغارب  
والمشارك . فحسبى انى أجهد فى اوصافه . ثم اشهد بعدم انصافه ، هذا على  
تناول الخصوص والعموم لذكره ، وتناوب المنشور والمنظوم على شكره .  
( الصفحة رقم ٥ الجزء الثالث من نفح الطيب طبعة دار المامون )

وكتب يهنىء الفقيه الاجل القاضي ابا المظفر بن عميرة  
بولاية قضاء شاطبة :

بأى بنان أم بأى بيات . تخط وتملى شكرها الملوان  
لولاية عقد لوائها الوجوب ، وأسفر وجه محاسنها  
المحجوب . فأشرق للألاء محياها ، وتماطى الاولياء حمياها .  
فما شئت من جذلان يحبر شكرا ، ونشوان يجهر سكرا ،  
يترنم كـ الشادى الباغم ، ويترنح كالغصن الناعم . وكلا - أصلاح  
الله قاضينا الاعلى - لا نكر ، على من يصف حالة السكر ، وان  
تناهى طربا ، وقضى من رفته الاناة أربا . فالمرتاح لا يتماسك  
ولا يتمالك ، والارتياح لا يهاك أحداً على راحه يتهاك . لا جرم  
انه تسمو به الجدود ، وتدرأ عنه بالشبهات الحدود . وبأىها  
المولى اشرف الخطط ، الضيق عن عادي جلاله ، وخالدي (1)  
خلاله ، ارحب الخطط .

ما نبأ تهاده النجد والغور ، واقتسم الحياة والموت به العدل

---

(1) يشير بعبارة «وخالدي خلاله» الى ان ابا المظفر من ولد خالد

ابن الوليد رضى الله عنه .

والجود . سوغ المجد المنيف نطافه (1) ، وهزله الدين الحنيف  
أعطافه ، حين قر الحكم الشرعي في نصابه ، وشفي من آلامه  
وأوصابه ، وأرغم المناصب لذلك بنصيبه وانتصابه . وسر معلم  
العلم فأساريه متهلة . وسل حسام الحق ، فإبطال الباطل متسلسلة  
وأشرع سنان الشرع . فكل معتد بالجهالة معتدل ، وهب نسيم  
المهابة ، فكل معتز للسفاهة معتزل . أما وخطة خطبت منك أكفى  
أكمائها ، وأقرت عين الهدى بتعيينها لك وهدائها . لقد عصبت  
بقاض يسمى المقوم ويسمى ، ونيطت بماض ينهض في ذات  
الله وينهد (2) ولا عجب أن آثرت جلاله ، واعتمدت خللاه  
فلم تك تملح إلا له . فهنيئاً لها ما أنبت من شرف خالد ،  
وأن حرسه بأقلام بن سيف الله خالد . وبالبلدة وعلية  
تربتها ، وبوىء ربتها . ما اخصب عيشتها وارغدها ، واسعد  
يومها وغدها ! وما ذا بها من دين ودنيا ، ومجد وعليا ،

---

(1) النطاف : العرق أى منح نطافه (عرقه) المجد المنيف .

(2) أى ينشط ويقوى .

اذ جمعت المهاجرين (1) الى الانصار ، وأطاعت محامدها  
ومحاسنها ، ملء الاسماع والابصار . لازالت حوزتها تحوز  
الاكابر ، وامرتها تعز عزتها المكابر . ودام عمادنا المفضل ،  
وعهادنا المحض (2) ، بين ولي شاكر حامد ، وعدو كاشر حاقد ،  
ينزل الرتب المنيفة ، ويطول به مالك ابا حنيفة ، والله ينهضه  
بما تقلد ، ويخاد مجده الاولى بأن يخلد .

والسلام الاتم الاكمل يخضعه كثير ، ورحمة الله تعالى وبركاته .  
وكتب - رحمه الله - الى رئيس شاطبة ابي الحسين ابن عيسى  
شافعا في فك اسير ، وتيسير عسير :

كتبته الى سيدي ، حرس الله شرفه العبادي ، وكأ  
كفه السيادي . ولا مزيد على ما عندي من الاعظام ارفع جانبه ،  
والقيام بكبير واجبه . والله يحفظ شرف بيته العتيق ، وحديث  
قديمه الفات بطينه المسك الفتيت (3) الفتيق ، ومؤديه فلان

---

(1) يقصد بالمهاجرين المسلمين الذين هاجروا من بعض المدن  
الاسلامية التي استولى عليها الروم . والانصار من اهل شاطبة .  
(2) الندى الكريم .  
(3) القوى الرائعة الاصيل الجيد .

أدام الله حفظه وعصمته ، وأتم عليه احسانه ونعمته . والمذكور  
يمت اليكم بتقديم الاخلاص ، ويرغب ان ينظم لديكم في أهل  
الاختصاص . وقد بلغكم ما ناباه من غير الدهر وبوبه . وكيف  
نشب في حباله الاسر الذي اتى على نشبه<sup>(1)</sup> وعلامكم بنباهة بيته  
أغنى عن التنبيه عليه ، وفضلكم كهيل بتسيب الاحسان اليه .  
وقد وثق بسعيكم الكريم في جبر كسره ، وأمل سيادتكم  
التهمم بأمره ، والتصرف فيما يصرف عليه بمض ما بذل في  
خلاصه من أسره . ومثلكم اصطنع امثاله ، وآثر فيما يليق  
بنباهته استعماله . والله يعلى شأنكم ، ويحرس مكانكم ، والسلام .  
وكتب ايضا شافعا بما نصه :

تلك السجايا العذاب ، والحكرم الباب ، والساحة التي  
اليسها جدته الشباب ، مخصصة بتحية التوقير والتكبير ،  
المعبرة انفاسها البقية عن العبير . ومنهيهما من زان قومه الامر  
والنهي ، وحسم فضاؤهم وعطاؤهم الوهن والوهي ، فلان ،  
جمع الله له بين الاوطار والاطوان ، وأعادته الى عبادته من عزة

---

(1) النشبه : المال .

الجوانب وشدة الاركان. وهو كريمة كرام ، آمت (1) بعدهم  
الايام ، وشكا فقدهم الانام . ولبت الحداد عليهم الاسياف  
الحداد والاقلام . وما بانوا ولا بادوا الا وأياديهم أطواق فى  
الرقاب ، وتشريفهم باق فى الاعقاب على مر الاحقاب .  
وهذا فلان عرفه الله اسماء الاقدار ، وأعفى مشاربه  
ومشارعه من الاكدار ، يروق وقاره ، ويكرم (2) سباره ، وعينه  
فراره (3) . وادنى حلاله الطلب ، وبعض خصائصه الادب . ثم  
شأنه الاخطر شأنه ، ومكانه من حبه الذى يتقدم الاحياء مكانه ،  
ورأى عند أخذه فى النقلة ، وعزمه على الرحلة ، أن يستصحب  
الى مجدكم هذه الحروف ، ويستدفع بمعلوم جدكم الصروف .  
وان تأملت ما لى من سمت (4) وسيما ، أقبلتموه وجه الاقبال  
وسيما ، وأوليتموه من رعى الحق الواجب ، ما يراه ضرباؤكم  
ضربة لازب . والله ببيئكم المكارم تشيدون رسومها الدائرة ،

---

(1) آمت المرأة فقدت بعلها ، وآم الرجل فقد زوجه .

(2) اختباره

(3) اختباره أيضا من : فرالدابة كشف عن أسنانها ليرى كم بلغت من السنين .

(4) يريد الحالة التى هو عليها زيه : وهياته وملامح وجهه .

وتنظمون عقودها المتناثرة . وهو تعالى يكلاً محلكم الرحيب ،  
ولا يعدمكم من الزمان وأهله الترحيب (1) والترحيب . والسلام .  
لم يكن ابن الأبار بدءاً من كتاب الأندلس الذين عاصروه  
أو سبقوه بنحو قرن أو جاءوا بعده . فقد كانت أسلوب النشر  
الانشائي في ذلك العهد قد أخذت بالأندلس طابعاً خاصاً يتميز به ،  
هو أسلوب السجع والصناعة اللفظية . ذلك الأسلوب الذي  
انتقل إلى المغرب والأندلس من المشرق ، والذي عرف به  
الحريري ، وابن العميد ، والقاضي الفاضل .

نعم : لم يكن أسلوب النشر كذلك في أول عهد المسلمين  
بإسبانيا ، بل كان سهلاً منطلقاً تسيطر عليه الفكرة التي تقود  
العبارة وتكيفها : دون تكلف أو صناعة ، وإن جاء مسجوعاً  
فسجع غير متكلف . ونماذج هذا خطبة طارق بن زياد (2)

---

(1) التعظيم .

(2) هؤلاء نشأوا وتثقفوا في المشرق العربي . وجاءوا معهم بثقافتهم  
الأدبية وكانوا كذلك يمثلون العصر الأدبي السائد في ذلك الوقت . ومن  
نشأ منهم بالأندلس هناك على حالة وثيقة بالحياة الأدبية بالمشرق ، على أن  
الحياة الأدبية بالمشرق أثرت تأثيراً مباشراً في الأدب بالمغرب والأندلس  
وكانت الصلة بين الأدبين قوية .

وكتب الامراء من بنى امية ايام حكمهم .

وكان ابن البار رجل جد ، صنمته الحياة التي احاطت به على غراياها . فهو قد ولد وعاش الشطر الاول من حياته <sup>(1)</sup> في بلنسية ، وفي وقت كانت الارزاء والكوارث تحيط بالبلاد ، ولم يكن ثمة مجال للهو او الترف او العبث الفني . لذلك تشكلت روح ابن البار الادبية بالضرورة التي املتها ضروريات الحياة : الحياة الاجتماعية ، والسياسية والدينية والاخوانية . فصار اذاً كاتب الديوان الذي يكسب منه معاشه ، وكان يكتب الى الامراء والاخوان في أمور جد ، وسفارة هامة تتصل بمصير البلاد والعباد . لذلك لاغرابة ان لم يطرق ابن البار في كتاباته النثرية من الموضوعات ما طرقة غيره من كتاب الاندلس كابن الطفيل مؤلف رسالة «حي من يقطان» القصصية الخيالية الفلاسفية . وكأبى عامر بن شهيد مؤلف رسالة «التوابع والزوابع» وغيرها من الرسائل التي تتناول الفكاهة والهزل ، وابن برد

---

(1) ولم يكن الشطر الثاني من حياته أكثر رخاءً أو معينا على اللهو والعبث والترف .

الاصغر مؤلف « المناظرة بين السيف والقلم » ، وابى بحر صفوان  
ابن ادريس مؤلف « المناظرة بين بلدان الاندلس » ، وابى  
حفص عمر بن الشهيد مؤلف الرسائل الخيالية على السنة لحيوان .  
واذا فلنقبل ابن الابار على انه رجل صنعتته الظروف الزمانية  
والمكانية التي عاش فيها ، وجعلت منه كتابا واقعيا جادا ، لا  
يتناول من الموضوعات الخيالية ما لم يتسم به وقته المزدهم  
بوقائع الحياة القاسية وحوادثها ، ولا يسمح به عقله الذي ألف  
مواجهة الحقيقة ، ومعالجتها في حزم وحكمة ، ولا تخوله اباه  
تربيته الدينية المتزنة الفاضلة . وهو لا يتناول كذلك من  
موضوعات الهزل والعبث ما تناوله غيره من الكتاب ، لان  
ظروفه المكانية والزمانية ، ووقته ، وعقله ، وتربيته الدينية :  
كل هذه لا تسمح بالهزل او العبث .

فنحن اذا نجد في كتابات ابن الابار : من الرسائل الديوانية  
والاخوانية ، صورة لما يجب ان يكون عليه . انه رجل جد وعمل  
وكماح ، فلا بد ان يكتب في موضوعات تناسب هذه الخصائص  
وهو رجل خير وشفاعة في عهد احتاج فيه الناس الى الخير

والشفاعة، فهو يكتب في مثل هذه الموضوعات. وهو لا يتناول من الموضوعات العايت او اللاهي لانه ام يكن كغيره من الكتاب عابثا او لاهيا ، وام تهيتة الحياة لهذا النوع من الحياة .

وهو يكتب بأسلوب من النشر ساد جميع أساليب الكتاب قبله وبعده، هو أسلوب السجع الشبيه بالشعر المنشور ، أسلوب تختار فيه الكلمة لجرسها وإيقاعها ومحاسنها اللفظية ، أسلوب يعتمد على تكرار العبارات والجمل للدلالة على الفكرة الواحدة، أسلوب يميل الى الاطناب لتأكيد المعنى، ولما في الاطناب من دلالة على قدرة الكاتب اللغوية والادبية ، أسلوب كثر فيه الاقتباس من القرآن والحديث والحكم والامثال والشعر، تأكيداً للفكرة ، وتحلية (1) وتجميلاً . وقد يضمن الكاتب الرسالة احيانا شعراً من نظمه هو .

وكانت رسائل ابن البار - كغيرها من رسائل كتاب

---

(1) لم تعد تغلو رسالة ثرية من الاقتباس الشعري ، حتى سرت عدوى الوزن والقافية الى النشر، وانتشرت طريقة السجع في جميع المكاتبات وهي محلاة بابيات من الشعر، حتى في الكتابة العلمية ومكاتبات الحكومة واجازات السفر (انظر Poesi und Kunst der Araber , von Schack)

الاندلس - تبدأ بمقدمة تمهد للموضوع ، فيها تحية أو تلميح بمقام المكتوب اليه وصلته بالكاتب ، وتنتهى بالخاتمة التى تتضمن الدعاء وتشعر بانتهاء الرسالة . نعم : كان الكتاب يختلفون من حيث قوة الفكرة وضمفها ، وطلاقة النثر المسجوع وتمثله ، ومن الاقتباس وقبحه ، وانسجام الالفاظ المختازة ، اضطرابها . ولكنهم بالرغم من هذا كانوا - كما يقول بعض النقاد - سائرين فى طريق واحد ، متشابه الارزاء والنواحي ، يضربون على وتر واحد ، من حيث الكلام فى الموضوعات المعروفة لهم . ولم يكن لاحد فضل فى كتابته غير الانفراد بالاسلوب واختيار الالفاظ واتباع الطريق (1) اقتفاء لآثار غيره .

ويقول هذا الناقد : ولقد يخيل ان الكتاب فى ذلك العصر كان يحاكي بعضهم بعضا ، وان الصفات التى تظهر فيها مميزة الكتاب هى الاحاطة باللغة وتنسيق الالفاظ والافتنان فى اخفاء ابتذال الموضوعات والمعانى المعروفة تحت ستار من الصناعة ولكن أليس من البراعة ان يشبه الكاتب جميع الكتاب ، ويعرف

---

(1) صفحة 179 من بلاغة العرب فى الاندلس لاحمد ضيف .

كيف يدتاز عنهم بمعانيه وأسلوبه ؟

والحق ان ابن الابار بالرغم من سلوكه طريق غيره في الكتابة كان يتميز بعدم الاغراق في اخفاء الفكرة ، او الاغراب في اللفظ . نجد هذا واضحا اذا قارنا رسالته التي وجهها الى القاضي ابي المطرف ابن عميرة برسالة هذا الاخير اليه ، او برسالة لابن خفاجة - وهو قد عاش قبله بنحو قرن - كتبها معاتبا احد اخوانه على ما وقع بينهما من قطيعة . وكان ان ولي ذلك الصديق حصنا فخطابه ابو اسحاق (1) ابراهيم ابن خفاجة بقوله :

ذ أطلال الله بقاء سيدي النبيهة أوصافه النزيهة عن الاستثناء، المرفوعة امارته الكريمة بالابتداء، ما انحدفت ياء يرمي للمعزم، واعتلت واو يغزو لوضع الضم . كتبت عن ود قديم هو الحال لم يلحقها انتقال، وعهد كريم هو الفعل لم يدخله اعتلال . والله يجعل هاتيك من الاحوال الثابتة اللازمة، ويعصم هذا بعد من الحروف الجازمة . وانا استنهض طوالتك الى تجديد

---

(1) صفحة 352 من الجزء الاول من نفح الطيب، طبعة أوروبا .

عهدك بمطالعة ألف الوصل، وتعدية فعل الفصل، وإلى عدوك  
عن باب الف القطع، إلى باب الوصل والجمع، حتى تسقط لدرج  
الكلام بيننا هاء السكت، ويدخل الانتقال حال الصمت. فلا  
تتخيل - اعزك الله - أن رسم اخائك عندي قد درس عفاء،  
ولا أن صدر دارمية أمسي من ودك خلاء، وإنما أنا فعل إذا تني  
ظهر من ضمير وده ما بطن، وبدأ منه ما كمن . . . الخ،  
فمن يتصور أن ابن خفاجة الشاعر الرقيق، الحساس  
بالجمال، الوصاف الدقيق الوصف يكتب مثل هذه الرسالة  
المثقلة بالتوريات النحوية والصرفية والإشارات اللغوية والأدبية  
المصطنعة؟ نعم حاول ابن خفاجة وغيره من الكتاب هذا الضرب  
من النشر الموضوع المتكلف وزاولوه، ولكننا أم نعثر لابن الأبار على  
شيء من هذا فهو متزن في أسلوبه، وسط بين كتاب عصره، لا سرف  
ولا اسراف، يلتزم السجع ولكن في غير اقعام، والتورية ولكن  
دوت تسمية. وما هي ذى نبذة من كتاباته العلمية (1)،

(1) من كتاب العلة السيرا كما نشره ميللر في مجلة:

فهو يقول :

« ولكن في هذه المائة الاخيرة ( يعنى السابعة ) أدرك  
مراهم الروم في الجزيرة . واستحكمت ابارتهم لها بحكم الفتنة  
المبيرة ، حتى ملكوها وجزأئرها بين الصلح والعدوة ، وغاية  
اهلها الى هذه الغاية ان يتساقطوا على العدو . وتل منهم مفات  
بجريعة الذقن ، ومسلم لعدوه الكافر محبوب الوطن . كم  
تركوا من جنات يدوسون غلالها ، وديار يجوسون خلالها .  
وعيون يفجر تغويرها العيون دماً ، وزروع ما عدا وجودها ان  
عاد عدما ، ثم لا انتصار بغير العبرات ، ولا اقتصار الا على التفرات ،  
والحسرات . ولم يبق الآن الا اشبيلية ام القواعد والمدائن ، ومأم  
الركائب والسفائن . وقد اشفت على الذهاب واستوفت على ...  
في حسن المصابرة . ورزؤها خاتم الارزاء ، وثكلها الدافع في صدر  
العرء ، نعوذ بالله من باسه وتنكيهه ، ونعوذ الى (1) ما كنا بسبيله .  
وبعد فمن الممكن القول - بعد ما عرضنا له من نه اذج

---

(1) يقصد انه يعود الى استئناف ما كان يكتبه من تراجم في الحلة السيرا .

لرسائل ابن الأبار ومن إشارات إلى حال النشر في عصره - بأن  
ابن الأبار الكاتب نهج في أسلوبه منهج كتاب الأندلس من  
حيث السجع ، وتحكم الكلمة في الفكرة ، واختيار الكلمة  
لجرسها ومناسبتها في الجملة ، ومن تكرار العبارة المؤدية للفكرة  
الواحدة ، ومن حيث التورية وإن كانت توريته سهلة الإدراك  
واضحة الإشارة . وأنه لم يغال في الصنعة اللفظية فيسرف في  
التورية العلمية ، كما فعل ابن خفاجة مثلاً ، ولم يبالغ في الإطناب  
فيجعل رسائله مملة ، كما فعل لسان الدين (1) بن الخطيب مثلاً في  
بعض رسائله .

وقد أخذت رسائله الغالب المأوف ، من البدء عادة بمقدمة ،  
والانتهاء بخاتمة تشتمل بنهاية الرسالة .

أما موضوعات رسائله فكانت واقعية خالية من الخيال  
الابتكاري الحر ، بعيدة عن اللهو والعبث ومجرون الحياة التارفة .  
ولم يتناول ابن الأبار من الموضوعات القصص أو الوصف

---

(1) انظر الجزئين الثالث والرابع من نفح الطيب ففيهما الكثير من  
رسائله .

- وصف الطبيعة ومظاهر الحياة - لان حياته المهنية والعلمية لم تؤهله لذلك .

هذا ولم يصلنا من رسائل ابن البار الديوانية والاخوانية الكثيرة التى كتبها بالاندلس ... وبتونس ايضا - ما يجعلنا نتوسع فى دراستها ، ونتلمس خصائصها التى قد تميزها عن غيرها من رسائل عصره بمنزايها لم نكشفها بعد .